

وصية لاجيء

[ألقاها الشاعر في ندوة الشبان المسلمين لنصرة قضية فلسطين
مساء ١٨ / نوفمبر / تشرين ثاني ١٩٥٨ / ونالت جائزة
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب].

أنا يا بُنيَّ غداً سيطويني العَسَقُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ ظِلِّ الحِياةِ سوى رَمَقِ
وحطامِ قلبٍ عاشَ مشبُوبَ القلقِ
قدْ أشرقَ المصباحُ يوماً واحترقَ
جفّت بهِ آماله حتى اختنقَ

فإذا نفضتْ غبارَ قبري عن يدِكَ
ومضيتْ تلتمسِ الطريقَ إلى غدِكَ
فاذكُرْ وصيةَ لاجيءٍ تحتَ الترابِ
سلبوهُ آمالَ الكهولةِ والشبابِ

* . * . * . *

مأسأتنا مأساةُ ناسٍ أبرياءِ
وحكايةُ يغلي بأسطرها الشقاء
حملتْ إلى الآفاقِ رائحةَ الدماءِ
وجريمتي كانتْ محاولةَ البقاءِ
أنا لم اعتديتْ ولا ادخرتْكَ لاعتداءِ

لكن لثأرٍ نبَّعه دام .. هُنا
بين الضلوع جعلته كلَّ المنى
وصبغت أحلامي به فوق الهضاب
وظمئت عمري .. ثم متُّ بلا شراب

* . * . * . *

كانت لنا دارٌ، وكان لنا وطنٌ
ألقْتُ به أيدي الخيَّانة للمحن
وبذلتُ في إنقاذه أغلى ثَمَنٍ
بيدي دفنتُ أخاك فيه بلا كَفَنٍ
إلا الدماء، وما ألمَّ بي الوهنُ

إن كنت يوماً قد سَكَبْتُ الأدمعَا
فلأنني حُمَلْتُ فَقَدَهُمَا .. معاً
جرجانٍ في جنبي: ثُكُلٌ واغتراب
ولدٌ أضيع .. وبلدةٌ رهنَ العذاب

* . * . * . *

تلك الربوعُ هناك قد عرفتَكَ طفلاً
يجني السنا والزهرَ حين يجوبُ حقلاً
فاضتُ عليك رياضُها ماءً وظلاً
واليومَ قد دهمتُ لك الأحداثُ أهلاً
ومرُوجُك الخضراء تحني الهام ذلاً

همُ أخرجوك فعد إلى من أخرجوك
فهناك أرضٌ كان يزرعُها أبوك
قد ذُقت من أثمارها الشهد المذاب
فإلام تتركُها لألسنة الحراب؟

إن جئتُها يوماً وفي يدك السلاح
وطلعتَ بينُ ربوعِها مثل الصباح
فاهتفُ على سمعِ الروابي والبطاح
إني أنا الأمسُ الذي ضَمَدَ الجراح
لبيك يا وطني العزيزَ المُستباح

أو لستَ تذكرني؟ أنا ذاك الغلام
من أحرَقوا مأواه في جنحِ الظلام
بلهيبِ نارٍ حولها رقصَ الذئاب
لفَتَ حياتي بالدخانِ وبالضباب

* . * . * . *

لا تبكين، فما بكثُ عينُ الجناه
هي قصَّةُ الطُغيانِ من فجرِ الحياه
فارجع إلى بلدِ كنوزِ أبي حصاه
قد كنتُ أرجو أن أموتَ على ثراه
أملٌ ذوي، ما كانَ لي أملٌ سواه

فإذا نفَضْتَ غبارَ قبري عن يدك
ومضيتَ تلتمسُ الطريقَ إلى غدك
فاذكرُ وصيةَ لاجيءٍ تحتَ التراب
سلبوه آمالَ الكهولةِ والشباب

* . * . * . *